(كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ)

أيها الإخوة: ما شهدته الشام الأيامَ السالفات لا جديد فيه على عادة اليهود والمنافقين؛ فاليهود هم اليهود أهلُ غدر وفساد، وبغي وإفساد، قتلةُ الأنبياء، وتجارُ الفتن، ومحترفو الجريمة والرذيلة. والمنافقون هم المنافقون ﴿إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾، وسيظهرُ الله مَا يَحْذَرُونَ.

وهاهنا كلماتٌ ينبغي بيانها من على منبر الجمعة:

أولاً: عدوُّنا الأول الكيانُ الصهيوني المجرم سارقُ الأرض، ناهبُ الخيرات، المعتدي على أرواح المسلمين وأعراضهم وأرضهم في فلسطين، والناظرُ إلى أطماعه في سائر بلاد المسلمين.

إن طالت الأيام أو قَصُرت فبيننا وبينهم اللقاءُ، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعةُ حتى يقاتلَ المسلمون اليهودَ، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجَر والشجرِ، فيقول الحجرُ أو الشجرُ: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهوديٌّ خَلْفي، تعالَ فاقتلهُ، إلا الغَرْقَدَ، فإنَّه من شجر اليهود».

ثانياً: من استعان بأعداء بلده على أبناء بلده خائنٌ في كل الأديان والأعراف والتشريعات، ومن أنزل علم بلده ليرفع علم عدوه خائن، ومن طالب بتقسيم البلاد خائن، ومن عمل لصالح أعداء البلاد من الكفرة الفجرة خائن، و ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾. ويحاسب الخائنَ الحاكمُ والقانونُ لا أفرادُ الناس المتحمّسون لكيلا يصير الأمرُ فوضى.

ثالثاً: الفتنة الطائفية مكيدة أعداء البلاد بالبلاد يُفَتِّتُون بها البلد ويجلسون لينظروا كيف يتقاتل أبناؤه ويتناحرون، وكلما هدأت أضرموا لها ناراً جديدة.

رابعاً: أكرم الله الشام بفتحٍ لا ثأر فيه، وقد ارتضى أهلها رئيساً ذكياً شجاعاً شفوقاً عليهم وحكومةً تمثلهم، وجيشاً من أبنائها، ورجالَ أمنٍ من شبابها. وإنما تقوم الدولة على النظام والقانون والانضباط والسمع والطاعة، ولئن اشتعلت الحميّة في قلب أحدنا أو غَلَتِ النخوة في صدره فإنّ هذا شيء محمود، ولكن ينبغي له ألا ينسى أن للبلاد قائداً نصدر عن قوله وحكومةً نرجع إليها فنقول بقولها ونعمل من ورائها.

خامساً: فقدت الشام زهوراً من أبنائها من رجال الأمن والجيش والمدنيين شهداء بإذن الله، نسأل الله تعالى لهم الرحمة وعلوّ الدرجة، وما أجمل أن يحيا العبد في سبيل الله وأن يموت في سبيل الله.

سادساً: الشام موعودة بالخير من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كره الكافرون.

أخرج ابن عساكر في تاريخه عن عبد الله بن حَوَالَةَ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسرِيَ بِيْ عَمُوْدَاً أَبْيَضَ كَأَنَّهُ لُؤْلُؤَةٌ تَحْمِلُهُ المَلَائِكَة، فَقُلْتُ: مَا تَحْمِلُوْنَ؟ فَقَالُوا: عَمُوْدَ الإِسْلَامِ، أُمِرْنَا أَنْ نَضَعَهُ بِالشَّامِ. وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ اخْتُلِسَ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فَظَنَنْتُ أَنَّ اللهَ قَدْ تَخَلَّى مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي، وَإِذَا هُوَ نُوْرٌ سَاطِعٌ بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى وُضِعَ بِالشَّامِ». فقال ابن حَوَالَةَ: يا رسول الله، خِرْ لي، فقال: «عَلَيْكَ بِالشَّامِ».

أيها الإخوة:

بإيماننا العميق، والتزامنا بشرع الله الحنيف، ووحدة صفّنا، وشدة وَعيِنا نذود عن بلادنا ونعيد مجدها التليد.

والحمد لله رب العالمين